ديوان الشافعي

لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
(١٥٠هـ - ٢٠٤هـ)

جمعه وعلّق عليه
محمد عفيف الزعبي

دار الجيل
للنشر والتوزيع والطباعة
بيروت - لبنان

مؤسسة الزعبي
بيروت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٣٩٢ هـ ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمدٍ ، أفصح العرب لساناً ، وأبلغهم بياناً ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه إلى يوم الدين .

وبعد : فإنه لمن أصدق مـــا نـُقدّمُ به أشعار (أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي) — رحمه الله تعالى — أنه أمّةٌ جمعت من صنوف العلم وخِصال الخير ما كان نادراً في غيرها . وانقادت إليه اللغة طيعة مختارة مما جعله قبلة أهلهـــا ، فلقد كان يفتح ببيانه مغلق الحجة ويسد في وجه خصمه واضح المحجة ويوسع بالرأي أبواباً منسدة .

على ذاكرته تصحح أشعار الهذليين وعلى ميزانه تقوّم الأشعار . ومن بيانه يستمد أهل اللغة فصاحة الكَلِم وجزالة الأسلوب .

إذا أنشد شعراً انتسب إليـــه السحر أصحّ انتساب ، وتدفقت على لسانه معجزات البلاغة ، وانهمرت منها الحكم ؛ وقد انسابت حلوةً رقيقةً عذبةً ، وانتثرت منها المعاني درراً ؛ فسالت على يراعـه [1] تتحاسد في التسابق إلى خواطره ، فإذا هي إكليل درٍّ ما لمنظومها سلك . وإذا بهـــا ديوان نَظَمَ عِقْد البلاغة ومعسول العبارة وبديع الحكمة ورقة الموعظة .

عملي في هذا الديوان :

وقد كان عملي جَمْعَ ما تناثر من منسوب الشعر (للإمام الشافعي) في بطون الكتب

---

(١) اليراع : القلم .

وخاصة كتاب (المحمدون من الشعراء) للقفطي (وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للأصبهاني (ومعجم الأدباء) لياقوت الحموي (ووفيات الأعيان) لابن خلّكان (والبداية والنهاية) لابن كثير وكتب التراجم والطبقات .

وقد حذفت أسانيد بعض القصائد ، وأثبت ما وجدته لازماً ، وما فاتني الاطلاع عليه تداركته من الديوان الذي جمعه الأستاذ زهدي يكن . ثم شرعت في ترتيب قصائده على غرار الديوان السابق مع بعض التغيير ، وقدمت له بنبذة عن الشافعي ، وعمدت إلى القصائد فضبطتها بالشكل والعناوين ، فغدا بهـا الديوان يبز قرينه جودةً وضبطاً وزيادةً وتقنيناً .

دراسة سريعة لهذه الأشعار :

ونحن بعد هذا إذا ألقينا نظرة سريعة على هذه الأشعار بعد أن ننوه أنه لا يصح لنا أن نجزم بصحة هذه القصائد كلها للشافعي ، وليس لنا ذلك أبداً بعدمـا وردنا عن لسانه – رحمه الله تعالى – لوددت أن الخلق تَعْلَمُهُ (أي علمه) ، **ولم ينسب الي منه شيء أبداً . وما في قلبي من علم الا وددت أنه عند كل أحد ولا ينسب إلي** – نجدها لا تعدو فن الحكمة والتسليم بقضاء الله وقدره ، والحض على العلم وإعطاء العبر من إنسان ذاق من الدنيا حلوها ومرها، وخرج منها بتجارب وعظات هي في واقعها أضواء على كثير من مشكلاتنا، وأخص ما نعانيه ونتألم منه .

ونرى فيها البعد عن سقطات الشعراء وتبذلهم واستجدائهم ومجونهم .

والرحيل بالنفس الإنسانية إلى رحاب العلم ، والاتعاظ بالأيام وتقلباتهـا وصروف الدهر ونوبه ، والارتفاع بها إلى ذرا الأخلاق ومدارج الكمال .

فاللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك محفوظاً عندك . أنتفع به يوم القدوم عليـك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

محمد عفيف الزعبي

٢٤ / محرم / ١٣٩١ هـ .
٢١ / آذار / ١٩٧١ م .

ترجمة الامام محمد بن ادريس الشافعي

رحمه الله تعالى

هو محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم[١] بن عبد المطلب بن عبـد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن مَعَدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدَدَ .

وأما ولادته – رضي الله عنه – فقد حكاها هو بنفسه فقال :

ولدت بغزّة[٢] سنة خمسين ومائةٍ – يوم وفاة أبي حنيفة فقال الناس مات إمام وولد إمام – وحُمِلْتُ إلى مكة وأنا ابن سنتين وقال : وكانت أمي من الأزد .

نشأته وطلبه للعلم ونبوغه :

حدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير : أنه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس الشافعي وهو مُسْتَحضّ في طلب الشعر والنحو والغريب ، قال فقلت له

---

(١) هاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشماً جد النبي صلى الله عليـه وسلم ذاك هاشم بن عبد مناف ، فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك .

(٢) غزة : بلد من فلسطين تبعد عن بيت المقدس ثلاث مراحل وهي المعروفة اليوم .

إلى كم هذا ! لو طلبت الحديث والفقه كان أمثـــل بك ، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به ، قال فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقلّ ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه ، ثم شخص إلى العراق فانقطـع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ثم جاء إلى المدينة بعد سنين . قال فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذي صار إليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وحدث الآبريُّ أبو الحسن محمد بن الحسن بن إبراهيم بن عاصم الآبريُّ السَّجزيُّ[1] قال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن المولد الشرقي يحكي عن زكريا بن يحيى البصري عن زكريا النيسابوري كلاهما عن الربيع بن سليمان وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية قال:

سمعت الشافعي يقول : كنت أنا في الكُتّاب أسمع المعلم يلقن الصبيّ الآية فأحفظها أنا ، ولقد كنتُ — قبل أن يفرغ المعلم من الإملاء — قد حفظت جميع ما أملي ، فقال لي ذات يوم : ما يحلُّ لي أن آخذ منك شيئاً . قال : ثم لمّا خرجت من الكُتّاب كنتُ أتلقّطُ الخَزَفَ[2] والدَّفوف[3] وكَرَبَ النَّخلِ[4] وأكتاف الجِمالِ[5] أكتب فيها الحديث وأجيء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور[6] فأكتب فيهـا حتى كانت لأمي حِبابٌ[7] فملأتهـا أكتافاً وخزفاً وكرَباً مملوءَةً حديثاً ، ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هُذَيلاً في البادية أتعلمُ كلامها وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب .

قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلمـا رجعت إلى مكة جعلت أُنشدُ الأشعار وأذكر الآداب والأخبار ، وأيام العرب ، فمر بي رجـل من

---

(١) الآبري : بهمزة ممدودة وضم الباء : نسبة الى مدينة آبر . والسجزي : بالفتـح او الكسر من السكون . نسبة سماعية إلى إقليم سجستان .
(٢) الخزف : كل ما عمل من طين وشوي حتى يكون فخاراً .
(٣) الدفوف : الجلود الذي يعمل منها الطبل .
(٤) كرب النخل : أغصان النخل العريضة الغليظة .
(٥) أكتاف الجمال : جمع كتف : عظم عريض خلف المنكب .
(٦) أي الأوراق .
(٧) حباب : جمع حب . وعاء يوضع فيه الماء مثل الجرة .

الزُّبيريين من بني عمي فقال لي ، يا أبا عبد الله : عزَّ عليَّ ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه ، فتكون قد سُدْتَ أهل زمانك، فقلت : فمن بقي نقصد ؟ فقال لي : مالك بن أنس سيدُ المسلمين يومئذ، قال : فوقع في قلبي فعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليـــالٍ ظاهراً قال : ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة ، وإلى مالك بن أنس قال : فقدمت المدينـة فأبلغت الكتاب إلى الوالي ، فلما أن قرأ قال : يا فتى إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون عليَّ من المشي إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذُّلّ حتى أقف على بابه ، فقلت : — أصلحَ الله الأمير — إن رأى الأمير أن يُوجّه إليه ليحضر ، قال : هيهات ، ليت أني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق [1] نلنا بعض حاجتنا . قال: فواعدته العصر وركبنا جميعاً ، فوالله لكان كما قال : لقد أصابنا من تراب العقيق . قال : فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير : قولي لمولاكي إني بالباب . قال : فدخلتْ فأبطأت ثم خرجتْ فقالت: إن مولايقرئكالسلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعةٍ يخرج إليك الجواب ، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف ، فقال لها : قولي له إن معي كتاب من والي مكة إليه في حاجة مهمة . قال : فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعته ، ثم إذا أنا بمالك قـــد خرج وعليه المهابة والوقار . وهو شيخ طويل مَسنونُ اللحية [2] ، فجلس وهـــو مُتَطَلِّسٌ [3] فرفع إليه الوالي الكتاب، فبلغ إلى هذا « إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدّثه وتفعل وتصنع » ، فرمى بالكتاب من يده ثم قال : سبحان الله ! أوصار عـلم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل ؟ قال : فرأيت الوالي وقد تهَيبَهُ أن يكلمه فتقدمت إليـــه وقلت : — أصلحك الله — إني رجل مُطّلبيٌّ ومن حالي وقصتي ، فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لي : ما اسمك ؟ قلت محمد ، فقال لي يا محمد : اتق الله واجتنب المعاصي ، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال : نعم وكرامة ، إذا كان غـداً تجيء ويجيء من يقرأ لك . قال : فقلت أنا أقوم بالقراءة .

---

(١) الوادي وكل مكان شقه السيل، واسم واد في ظاهر المدينة .
(٢) مسنون اللحية : أي طويلها .
(٣) أي لابس الطيلسان : وهو كساء مدور أخضر .

قال : فغدوت عليـــه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي فكلما تهيبت مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول يا فتى زد حتى قرأته [1] في أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس ، ثم خرجت إلى اليمن فارتفـع لي بها الشأن وكان بها وال من قبل الرشيد ، وكان ظلوماً غشوماً وكنت ربما آخـذ على يديه وأمنعه من الظلم . قال : وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا — فكتب الوالي — وإني أخاف أن يخرجوا وإن ههنا رجلاً من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معـــه ولا نهي . قال: فكتب إليه هارون الرشيد : أن احمل هؤلاء واحمـل الشافعي معهم . فقُرنت معهم . قال : فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنـــده محمد بن الحسن . قال : فدعا هارون الرشيد بالنِّطع [2] والسيف ، وضرب رقاب العلوية ، ثم التفت محمـــد بن الحسن فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا المطلبي لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسنٌ ، فقلت مهـلاً يا أمير المؤمنين ، فإنك الداعي وأنا المدعو ، وأنت القادر على ما تريد مني ولست القادر على ما أريد منك .

يا أمير المؤمنين ، ما تقول في رجلين : أحدهما يراني أخاه والآخر يراني عبده ، أيهما أحب إلي ؟ قال : الذي يراك أخاه . قال : قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين . قال فقال لي : كيف ذاك؟ فقلت يا أمير المؤمنين: إنكم ولد العباس تروننا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم. قال : فسُرِّي ما كان به فاستوى جالساً فقال : يا ابن إدريس : كيف علمك بالقرآن ؟ قلت : عن أي علومه تسألني ؟ عن حفظه قـــد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتداءه ، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه وما خُوطب به العام يراد به الخاص ، وما خوطب به الخاص يراد به العـــام . فقال لي : والله يا ابن إدريس لقد ادعيت علماً فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت : إني لأعرف منها البريَّ من البحري والسهليَّ والجبلي والفيلـَق [3] والمُصبَح وما تحب معرفته . قال : فكيف علمك بأنساب العرب ؟ قال : فقلت إني لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبي نسب أمير المؤمنين . قال:

(١) أي الموطأ .
(٢) بساط من الجلد .
(٣) كلمة يونانية .

لقد ادعيت علماً فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين؟ قال : فذكرت موعظة لطاووس اليماني فوعظته بها ، فبكى وأمر لي بخمسين ألفـاً وحملت على فرس وركبت من بين يديه وخرجت فما أن وصلت الباب حتى فرّقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه. قال : فلحقني هرثمَة وكان صاحب هارون الرشيد . فقال : اقبل هذه مني . قال فقلت له : إني لا آخذ العطية ممن هو دوني وإنما آخذها ممن هو فوقي . قال : فوجد في نفسه . قال : وخرجت كما أنا حتى جئت منزلي فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينـــار وقلت : اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجّه بها إلي . قال : فكتبت لي ووجه بها إلي .

جمعه لشتى العلوم :

حدث الربيع بن سليمان أنه قال ، كان الشافعي — رحمه الله تعالى — يجلس في حلقته إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجـــاء أهـل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا ، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فـلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف ، رضي الله عنه .

وحدث محمد بن عبدالحكم قال: ما رأيت مثل الشافعي كان أصحاب الحديث يجيئون إليه ويعرضون عليه غوامض علم الحديث وكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها فيقومون وهم متعجبون منه وأصحاب الفقـــه الموافقون والمخالفون لا يقومون إلا وهم مذعنون له ، وأصحاب الأدب يعرضون عليه الشعر فيبين لهم معانيه . وكان يحفظ عشرة آلاف بيت لهذيل إعرابها ومعانيها ، وكان من أعرف الناس بالتواريخ ، وكان ملاك أمره إخـلاص العمل لله تعالى .

وحدث محمد عبـــد الرحمن بن أبي حاتم الرازي قال : أخبرنا أبو الحسن عن عبد الرحمن عن أبي محمد ابن ابنـة الشافعي . قال : سمعت الجارودي [1] أو عمّي أو أبي أو

(١) الجارودي : هو موسى بن أبي الجارود المكي تلميذ الشافعي وشيخ الترمذي .